

سورة الإسراء

﴿الآيات: 86 - 89﴾

الدرس

22

أهداف الدرس

- 1- أن أتبين المقصد من توجيه الله تعالى لرسوله ﷺ.
- 2- أن أستنتج إعجاز القرآن الكريم من خلال الآيات.
- 3- أن أعتر بالقرآن الكريم وبما تضمنه من الآيات المعجزة.

تمهيد

بعد امتنان الله سبحانه على نبيه ﷺ في الآيات السابقة بالقرآن الكريم وجعله شفاء للناس؛ بين في هذه الآيات تمام نعمته على نبيه ﷺ باستمرار إكرامه بالقرآن الكريم، مبينا له إعجازه واشتماله على الحكم والأحكام والآداب التي يحتاج إليها الإنسان في الدنيا والآخرة.

فبماذا امتن الله تعالى على رسوله ﷺ؟ وبماذا أعجز الله تعالى المشركين؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ شَيْئًا لَّنَا فَعَرٌّ بِالْحَبِّ أَوْ حَبْنًا إِلَى مَا تَمُرُّ لَا تَجِدُ لَهَا بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝۸۶ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِزْقِضْ لَهُمْ كَأَن عَلَيْهِمْ كَبِيرًا ۝۸۷ فُلَّيْسَ اجْتَمَعَتْ إِلَّا نَسْرٌ وَالْجُرُّ عَلَيَّ أَنِّي يَأْتُونُوا بِمِثْلِ قَوْلِ الْفُرْعَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ كَظِيمًا ۝۸۸ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي قَوْلِ الْفُرْعَانِ مِنْ كُلِّ مِثْلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝۸۹﴾ [سورة الإسراء: 86-89]

الفهم

الشرح :

كْهَيْبَرًا : معينا.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا : كررنا ورددنا على أساليب مختلفة توجب زيادة تقرير ورسوخ.

مِرْكَلٍ مَثَلٍ : من كل معنى بديع في الحسن والغرابة والبراعة كالمثل.

كُفُورًا : جحودا وامتناعا.

استخلاص مضامين الآيات :

1- بم امتن الله تعالى على رسوله ﷺ في الآيات؟

2- من تحدى الله تعالى في الآيات؟ وبماذا؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: فضل الله سبحانه على رسوله ﷺ:

بعد امتنان الله تعالى في الآية السابقة على رسوله ﷺ؛ ذكر في هذه الآيات مظهرا من مظاهر قدرته بعد أن بين أن الروح من أمره، فقال سبحانه: ﴿وَلَيْسَ شَيْئًا لَّنَا دَعَبٌ بِالْعِزِّ أَوْ حِينًا إِلَيْهَا قُرَّةٌ تَعْبُدُ لِمَا بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلٌ﴾ أي: ولئن شاء الله لذهب بالوحي الذي آتاك، ثم لا ناصر لك منه، أي: فليس بعظيم أن لا تجيء بتفسير في الروح الذي أردت أن تفسره للناس ووعدتهم بذلك. وقوله تعالى: ﴿وَكَيْلٌ﴾ الوكيل: القائم بالأمر في الانتصار أو المخاصمة ونحو ذلك من وجوه النفع.

وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ استثناء منقطع، أي: لكن رحمة من ربك تمسك ذلك عليك. وهذا الاستثناء المنقطع يخصص تخصيصا ما وليس كالم متصل؛ لأن المتصل يخصص من الجنس أو الجملة، والمنقطع يخصص أجنبيا من ذلك. ولا ينكر وقوع المنقطع في القرآن إلا أعجمي، وقد حكى ذلك عن ابن خوير منداد.

ثم عدد عليه عز وجل كبر فضله في اختصاصه بالنبوة وحمايته من المشركين إلى غير ذلك مما لا يحصى، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ قِضْلَهُ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.

ثانيا: تحدي الله تعالى الإنس والجن بالقرآن الكريم:

بعد امتنان الله تعالى على رسوله ﷺ بالقرآن الكريم، أمره أن يتحدى المشركين بهذا القرآن فقال سبحانه: ﴿فَلْيَرْجِعْ أَيْمَانَهُمْ إِنْ كَانُوا بِمِثْلِهِ لَاعْلَمُوا﴾. ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، وَلَوْ كَانُوا بِغُفْلَةٍ لَافْتَحُوا

سبب نزول هذه الآية: أن جماعة من قريش قالت لرسول الله ﷺ: يا محمد، جئنا بآية غريبة غير هذا القرآن، فإنا نقدر على المجيء بمثل هذا؛ فنزلت هذه الآية المصروفة بالتعجيز المعلمة بأن جميع الخلائق لو تعاونوا إنسا وجنا على ذلك لم يقدرُوا عليه. والعجز في معارضة القرآن إنما وقع في النظم والرصف لمعانيه؛ وعلّة ذلك الإحاطة التي لا يتصف بها إلا الله عز وجل، والبشر مقصر ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وأنواع النقص الغالبة عليه.

واللام في قوله: ﴿لِيَرْجِعْ﴾ مؤذنة غير لازمة قد تحذف أحيانا، وقد تجيء هذه اللام مؤكدة فقط، ويجيء الفعل المنفي مجزوما. وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ في موضع رفع، و"لا" متلقية قسما. وقوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانُوا بِغُفْلَةٍ لَافْتَحُوا﴾ معطوف على مقدر، أي: لا يستطيعون الإتيان بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا ونصيرا لبعض، ولو كان بعضهم ظهيرا ونصيرا لبعض لما استطاعوا أيضا. ومعنى ﴿لَافْتَحُوا﴾ معينا، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ تَكْفُرْ أَفْتَحُهَا عَلَيْهِ﴾ [التحریم: 4]. والمقصود أنهم لا يستطيعون الإتيان بمثله على كل حال مفروض.

وفهمت العرب بخلوص فهمها في ميز الكلام ودربتها به، ما لا نفهمه نحن، ولا كل من خالطته حضارة. ففهموا العجز عنه ضرورة ومشاهدة، وعلمه الناس بعدهم استدلالاً ونظراً، ولكل حصل علم قطعي؛ لكن ليس في مرتبة واحدة. وهذا كما علمت الصحابة شرع النبي وأعماله مشاهدة علم ضرورة، وعلمنا نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر، فحصل للجميع القطع؛ لكن في مرتبتين.

وفهم إعجاز القرآن أرباب الفصاحة الذين لهم غرائب في ميز الكلام. ألا ترى إلى فهم الفرزدق شعر جرير في شعر ذي الرمة في قوله: يعد الناس بعدهم استدلالاً ونظراً، ولكل حصل علم قطعي؛ لكن ليس في مرتبة واحدة. وهذا كما علمت الصحابة شرع النبي وأعماله مشاهدة علم ضرورة، وعلمنا نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر، فحصل للجميع القطع؛ لكن في مرتبتين.

وفهم إعجاز القرآن أرباب الفصاحة الذين لهم غرائب في ميز الكلام. ألا ترى إلى فهم الفرزدق شعر جرير في شعر ذي الرمة في قوله: يعد الناس بعدهم استدلالاً ونظراً، ولكل حصل علم قطعي؛ لكن ليس في مرتبة واحدة. وهذا كما علمت الصحابة شرع النبي وأعماله مشاهدة علم ضرورة، وعلمنا نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر، فحصل للجميع القطع؛ لكن في مرتبتين.

وفهم إعجاز القرآن أرباب الفصاحة الذين لهم غرائب في ميز الكلام. ألا ترى إلى فهم الفرزدق شعر جرير في شعر ذي الرمة في قوله: يعد الناس بعدهم استدلالاً ونظراً، ولكل حصل علم قطعي؛ لكن ليس في مرتبة واحدة. وهذا كما علمت الصحابة شرع النبي وأعماله مشاهدة علم ضرورة، وعلمنا نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر، فحصل للجميع القطع؛ لكن في مرتبتين.

وكذلك التحدي بالعشر السور، والتحدي بالسورة إنما وقع كله على حد واحد في النظم خاصة، وقيد العشر بالافتراء لأنهم ذكروا أن القرآن مفترى، فدعاهم بعقب ذكر ذلك إلى الإتيان بعشر سور مفتريات، ولم يذكر الافتراء في السورة لأنه لم يجر عنهم ذكر ذلك قبل؛ بل قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 22]، على أنه قد جاء ذكر السورة مع ذكرهم الافتراء في سورة هود. وقد اختلف الناس في هذا الموضع فقيل: يدعو إلى السورة المماثلة في النظم والغيوب وغير ذلك من الأوصاف، وكان ذلك من تكليف ما لا يطاق، فلما عسر عليهم خفف بالدعوة إلى المفتريات. وقيل: غير هذا مما ينحل عند تحصيله.

ومع عجز المشركين عن الإتيان بسورة من مثل القرآن الكريم إلا أنهم استمروا في طغيانهم وإنكارهم القرآن الكريم، قال سبحانه في بيان ذلك: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي قُلُوبِهِمُ الْقُرْآنَ﴾ مفعول: صرفنا محذوف، والتقدير: ولقد صرفنا الهدايات والعبر بوجوه متعددة. وتصريف القول هو ترديد البيان عن المعنى.

وقوله تعالى: ﴿مِثْلَ مَثَلٍ﴾ يجوز أن تكون ﴿مِثْلَ﴾ لابتداء الغاية، ويكون المفعول بـ"صرفنا" مقدرا تقديره: ولقد صرفنا في هذا القرآن التنبيه والعبر من كل مثل ضربناه. ويجوز أن تكون مؤكدة زائدة، والتقدير: ولقد صرفنا كل مثل، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يَمْسِكُونَ﴾ [البقرة: 124]. وقوله: ﴿بِأَيِّ آيَاتِنَا أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ عبارة عن تكسب الكفار الكفر وإعراضهم عن الإيمان، وفي التعبير بـ ﴿بِأَيِّ﴾ تغليظ. والكفر بالخلق والاختراع هو من فعل الله تعالى، وبالتكسب والدؤوب هو من الإنسان. وقوله: ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ "مصدر كالخروج. والاستثناء مفرغ منصوب بـ ﴿بِأَيِّ﴾ لأنه في معنى النفي، أي: ما رضي أكثرهم إلا الكفر به " [البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: 3/ 230].

ثالثاً: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات جملة من المقاصد التربوية، أهمها:

- إكرام الله تعالى رسوله ﷺ بما يؤكد نبوته وهو القرآن الكريم الذي اشتمل على أرسخ القواعد وأقوم الحكم والأحكام، حيث عجز العالم عن الإتيان بمثله، بل إن فصحاء اللسان وبلغاءهم الذين نزل بلغتهم عجزوا عن الإتيان بسورة واحدة مثله.
- التأكيد على نبوة الرسول ﷺ وبيان شدة عناد المشركين لتوحيد الله تعالى برضاهم عبادة الحجر وإنكارهم رسالة النبي ﷺ.

التقويم

- 1 - ما المقصد من توجيه الله تعالى رسوله ﷺ في هذه الآيات؟
- 2 - أبين مظاهر إعجاز القرآن الكريم الواردة في الآيات.
- 3 - كيف يؤثر إعجاز القرآن الكريم في إصلاح النفوس وتهذيبها؟
- 4 - أوضح من خلال التفسير ما يدل على نباهة العرب وبراعتهم في فهم السياق.

الاستثمار

قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَسِرْ اجْتَمَعَتِ إِلَّا شِرْوَالِجٍ عَلَّاءُ يَأْتُوا بِمِثْلِ الْقَرَارِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ كَهَيْبَةٍ﴾: "لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: هَبْ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَجْزُ الْإِنْسَانِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ فَكَيْفَ عَرَفْتُمْ عَجْزَ الْجِنِّ عَنْ مُعَارَضَتِهِ؟ وَأَيْضًا فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ نَظْمُ الْجِنِّ الْقَوِيُّ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَخَصُّوهُ بِهِ عَلَى سَبِيلِ السَّعْيِ فِي إِضْلَالِ الْخَلْقِ؟ فَعَلَى هَذَا إِنَّمَا تَعْرِفُونَ صِدْقَ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَرَفْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِي قَوْلِهِ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ بَلْ هُوَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، فَحِينَئِذٍ يُلْزَمُ الدَّوْرُ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْجِنِّ؟ لِأَنَّا نَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى وَقُوعِ التَّحْدِيِّ مَعَ الْجِنِّ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ هَذَا التَّحْدِيُّ لَوْ كَانُوا فَصَحَاءَ بُلْغَاءَ، وَمَتَى كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ الْإِحْتِمَالُ الْمَذْكُورُ قَائِمًا؟". [مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 21 / 406]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1 - أستخرج الإشكال الوارد في النص.
- 2 - أبين الجواب عن هذا الإشكال.

أتأمل الآيات: 90 - 93 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: يَنْبُوعًا - جَنَّةٌ - كَسَبًا - فَيْلًا - مِّنْ زُخْرٍ - تَرْفُلٍ .

2 - ما هو المقصد من إعراض الله تعالى عن مطالب المشركين؟

3 - ما أثر قراءة ﴿تَبَجَّجْ﴾ و﴿تَفَجَّرَ﴾ في معنى قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَنُؤْمِرَ لَدَحَّتَّى تَبَجَّجَ لَنَا مِنَ الْآرِزِيِّ يَنْبُوعًا﴾ ؟